الدكتور جميل صليبا
المربّي والفيلسوف، ورحلة عمر في خدمة الوطن والأجيال
«١٩٠٢ - ١٩٧٦»

د. جوزيف كلاس(*)

يعدُّ الدكتور «جميل صليبا» واحدًا من المفكرين العرب السوريين البارزين، شكّل ينبوعُ ثقافته وغزارة عطائه موسوعةً علمية راقية، غدت مرجعًا للباحثين والطلاب في علمي الفلسفة والتربية بوجهٍ خاص.

- ولد جميل حبيب صليبا عام ١٩٠٢م في بلدة «القرعون» - من أعمال البقاع الغربي في لبنان - ثم انتقل مع أسرته إلى دمشق عام ١٩٠٨م، وأمضى مرحلة التعليم الابتدائي بمدارس الآسية الأرثوذوكسية حتى عام ١٩١٢م، ثم انتقل إلى المكتب السلطاني العثماني، فقرأ فيه العلوم باللغة التركية حتى عام

(*) طبيب وباحث من سورية، توفي حديثًا في ١٤/ ٩/ ٢٠١١م، كتب عن أندلسيات الزمن العربي المزدهر، وله كتب تبحث في حضارة العرب في الأندلس وفي تقدمهم العلمي والحضاري قبل نكبتهم.

١٩١٨م، وتابع تعليمه في تجهيز دمشق الرسمية الوحيدة آنذاك - مكتب عنبر - حتى حصوله على شهادتها عام ١٩٢١م.

– أوفدته وزارة المعارف التي كان يرأسها «محمد كرد علي» إلى فرنسا لدراسة العلوم والفنون والآداب. انتسب «جميل صليبا» إلى كلية الآداب بجامعة باريس «السوربون» فدرس فيها ليحصل منها على دبلوم التربية من معهد علم النفس عام ١٩٢٣م، وشهادة الإجازة في الآداب - فرع الفلسفة - عام ١٩٢٤م، والإجازة في الحقوق عام ١٩٢٦م، وعلى الدكتوراه في الآداب - فرع الفلسفة - عام ١٩٢٧م، وكان موضوع أطروحته الرئيسية: «دراسة ميتافيزيقية ابن سينا» وموضوع أطروحته المكملة: «نظرية المعرفة في المذهب الاجتماعي الفرنسي».

* **عمر من الدأب في خدمة الفكر**: باشر الدكتور «جميل صليبا» إثر عودته للوطن عمله في تدريس الفلسفة بمدارس دمشق الثانوية، وأخذ يتدرّج في المناصب التربوية: رئيسًا للتعليم الثانوي والإكمالي في وزارة المعارف عام ١٩٣٥م، ثم مديرًا لدار المعلمين، ورئيسًا للجنة التربية والتعليم بالوزارة عام ١٩٤٥م، ثم أمينًا عامًا للوزارة عام ١٩٤٩م، وفي العام نفسه نقل إلى الجامعة السورية «جامعة دمشق اليوم» أستاذًا بكلية التربية، ثم عميدًا لها من عام ١٩٥٠م إلى عام ١٩٦٤م، وشغل منصب رئيس الجامعة بالوكالة عام ١٩٥٨م.

– أحيل الدكتور صليبا على التقاعد عام ١٩٦٤م، ونُدب محاضرًا في المركز الإقليمي لليونسكو في بيروت لتدريب كبار موظفي التربية في الوطن العربي.

- انتُخب «الدكتور صليبا» لعضوية المجمع العلمي العربي عام ١٩٤٢م، واختير عام ١٩٤٣م عضوًا في لجنته الإدارية (مكتب المجمع الآن)، واختير كذلك عضوًا في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية (اليونسكو) عام ١٩٥٥م، وعضوًا في اللجنة الدولية لعلوم التربية عام ١٩٥٨م.

- مثّل سورية في العديد من المؤتمرات الدولية، العلمية والتربوية، ومؤتمرات المجامع العلمية العربية واليونسكو، لدراسة الحاجات التربوية في العالم العربي.

- شارك في الندوات الدولية والحلقات التربوية، وألقى عشرات المحاضرات في سورية والأقطار العربية، وأسهم في إصدار مجلات للمعلمين والمعلمات عام ١٩٤١م، وأسس مجلة «العالم العربي» وأشرف عليها حتى عام ١٩٤٩م، واشترك في إصدار مجلة «كلية التربية» بجامعة دمشق وترأس تحريرها.

* **جهوده في الفلسفة والتربية**: اتجه اهتمام الدكتور جميل صليبا نحو التربية بوجهٍ خاص، والمشكلات التربوية التي يواجهها المجتمع العربي، وكان من بين أوائل المربين الذين مهّدوا السبيل للبحث الفلسفي المعاصر. وتجلى اهتمامه بانكبابه على تراث العرب الفلسفي، ودراسته بعمق ووعي لإزاحة الستار عن خصائصه، والدور الذي أداه لدى نشأته، والدور الذي يمكنه القيام به في المستقبل، وحرص من أجل هذا الهدف على تبسيط التراث الفلسفي لأغراض تدريسية وتربوية، بحيث يكون في متناول أكبر مجموعة من المعنيين به، واهتم بوجهٍ خاص بالكشف عما ينطوي عليه التراث من قيم تتجاوز عصرها، وقارن

بينها وبين ما يقابلها من الآراء في النظريات الفلسفية في الغرب، وقد جمع مُحصلةَ بحوثه ودراساته القيمة في مؤلفاته، وفي دراساته المنشورة في المجلات العربية. وقد دلت هذه المؤلفات على إسهامه الكبير في حركة التنوير العربية، وعلى سعة ثقافته ووفرة معلوماته وإحاطته الشاملة في استقراء الوقائع، والدقة في البحث.

* **مؤلفاته**: أصدر الدكتور «صليبا» في عام ١٩٣٦م كتابه «علم النفس» الذي جمع فيه النظريات التربوية في علم النفس والتي كانت سائدة خلال الثلاثينيات من القرن الماضي، وقدّمها بأسلوب عملي وفني جميل، وقد تخرجت على يديه مواكب من الشباب، حصّلوا ثقافة علمية وفلسفية رفيعة، تركت آثارها واضحة في النهضة العلمية الحديثة.

وقد نيَّفت كتبه على الثلاثين مؤلفًا في الفلسفة والتربية وعلم النفس والأدب ومن أهم هذه المؤلفات:

– ابن خلدون: درس وتحليل عام ١٩٣٤، علم النفس ١٩٣٦، ابن سينا: درس وتحليل ١٩٣٧.

– علم المنطق ١٩٤٤، من أفلاطون إلى ابن سينا (محاضرات في الفلسفة العربية ١٩٥١).

– إعداد المربي - ترجمة - ١٩٥٦، الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث عام ١٩٥٨، المنقذ من الضلال (الغزالي) بالاشتراك مع د. كامل عياد ١٩٦٠.

– حي بن يقظان لابن طفيل بالاشتراك مع د. عياد ١٩٦٢، الإنتاج الفلسفي خلال المئة سنة الأخيرة في الثقافة العربية المعاصرة ١٩٦٧، اتجاهات

النقد الحديث في سورية ١٩٦٩، تاريخ الفلسفة ١٩٧٠، المعجم الفلسفي (مجلدان) ١٩٧٣.

ونشر الدكتور «صليبا» خلال مسيرته التربوية، مئات البحوث والمقالات في التربية وعلم النفس والفلسفة في كبريات الدوريات الثقافية العربية.

* درس الدكتور صليبا نشأة الفلسفة العربية الأصيلة دراسة متعمقة، وأسهم في الكشف عنها، وهي تجربة أصيلة لما كان فيها من نقل واقتباس أولًا، ومزج وتوفيق ثانيًا، وإبداع وابتكار ثالثًا.. تجربة تفرض على العرب المعاصرين أن يتخذوا موقفًا مماثلًا ليعيدوا مجددًا بناء حضارتهم العربية المعاصرة، المنفتحة على العالم والمتجددة دومًا. حضارة تتسم بالأصالة والمعاصرة في آن معًا.

ولقد تجلّت مواقف الدكتور جميل صليبا في هذا المضمار فيما يلي:

١- إن ماضي الأمة العربية هو من أهم مقومات هويتنا القومية.

٢- لا بد من العودة إلى تراثنا الثقافي ودراسته بُغية لإقامة جسر من التواصل الواعي الحر المتفاعل بين حاضرنا وماضينا.. وقد أمضى الدكتور صليبا عمره في دراسة التراث العربي والكشف عما فيه من قيم إنسانية كما عرّف بأعلامه.

٣- تميز موقفه من التجربة الإنسانية في مجال العلم والفكر بالوعي والإيجابية، فدعا إلى ترجمة روائع الفكر الإنساني، وأسهم هو بنفسه في هذا الجهد الذي اتّسم بالتجديد والدعوة إلى حُسن الاختيار من الثقافة الغربية، وجعلها منطلقًا إلى فكر عربي قومي، وفلسفة عربية متجددة عن طريق ابتكار نماذج، فيها تعبير عن ذاتية الأمة وتأصيل ثقافتها.

٤- درس الدكتور صليبا حال التربية العربية المعاصرة، وانتقد تردُّدها بين الأصالة والاقتباس، وعجزها أحيانًا عن الإبداع والابتكار، وقدّم تصّوره ومقترحاته لمواجهة واقع التربية، ودعا إلى توفير الظروف الموضوعية للانتقال إلى مرحلة خلق وإبداع نظرية تربوية عربية أصيلة ومتجددة، وحدّد تفصيلًا الخطوات العلمية لهذا الانتقال.

ولم تكن جهود الدكتور صليبا نظرية فقط، بل كان عمليًا فعّالًا، فهو أول من أدخل علم النفس المعاصر إلى سورية، وأول من أدخل مادة الفلسفة العربية الإسلامية في مناهج التدريس في الثلاثينيات من القرن الماضي، وكان أول من أدخل مادة «التربية في العالم العربي» إلى كلية التربية بجامعة دمشق.

– لقد أكّدت مسيرة الدكتور صليبا الفكرية والتربوية طوال نصف قرن من العمل الجاد، قيمته الإنسانية والوطنية، ولهذا كان رحيله في كانون الأول من عام ١٩٧٦م، خسارة كبيرة للعمل التربوي والفكري في الوطن العربي، وكان تكريمه فيما بعد، عرفانًا بفضله، كمفكر ومُرَبٍّ أدى رسالته بإخلاص فكان جديرًا باعتزاز الوطن والأجيال.

المصادر:

- **مجلة مجمع اللغة العربية** - المجلد ٥٥ – مقال: عبد الكريم زهور.
- **عبقريات**: عبد الغني العطري – دار البشائر – دمشق ٢٠٠٠.
- **الأصالة والمعاصرة عند جميل صليبا** – إلياس نصر الله – مجلة بناة الأجيال – العدد ٢١ – كانون الثاني ١٩٩٧.
- **شموع في الضباب** - عيسى فتوح.